الاغتراب النفسي في شعر الخنساء

Psychological Alienation in the Poetry of Al-Khansa

م.م. خالد كردي زعيان الجميلي

Khaled Kurdi Zayan Al-Jumaili

م.م. هدى اسماعيل خليل المحمدي

Huda Ismail Khalil Al-Muhammadi

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة الاغتراب النفسي في شعر الخنساء، من خلال تحليل تجربتها الشعرية في رثاء أخيها صخر, يعتمد البحث على المنهج النفسي لفهم تأثير الفقدان والحزن العميق في تشكيل خطابها الشعري, يناقش البحث مفهوم الاغتراب النفسي، أسبابه، وأنواعه، ومظاهره، مع تسليط الضوء على انعكاسه في شعر الخنساء، من خلال الاغتراب العاطفي، والزماني، والمكاني، والاجتماعي. كما يقدم تحليلًا عميقًا لعدد من الأبيات المختارة، مستخلصًا الدلالات النفسية التي تجسد معاناتها الداخلية, ويشير البحث إلى أن الخنساء لم تكن مجرد شاعرة رثاء, بل كانت نموذجًا أدبيًا يعكس تجربة الاغتراب النفسي في الشعر العربي القديم.

الكلمات المفتاحية : الاغتراب , النفسي , الخنساء , أخيها , الشعر العربي القديم.

Abstract:

This research addresses the phenomenon of psychological alienation in Al-Khansa's poetry ،through an analysis of her poetic experience in mourning her brother Sakhr. The research relies on the psychological approach to understand the impact of loss and deep grief in shaping her poetic discourse. The research discusses the concept of psychological alienation ،its causes ،types ،and manifestations ، highlighting its reflection in Al-Khansa's poetry ،through emotional ، temporal ،spatial ،and social alienation. It also presents an in-depth analysis of a number of selected verses ،extracting the psychological connotations that embody her inner suffering. The research indicates that Al-Khansa' was not merely a poet of mourning ،but rather a literary model that reflects the experience of psychological alienation in ancient Arabic poetry**.**

Keywords: alienation ،psychological ،Al-Khansa ،her brother ،and ancient Arabic poetry.

المقدمة

يُعدّ الأدب العربي مرآة صادقة تعكس الواقع النفسي والاجتماعي لمبدعيه، إذ يتجلى في ثناياه مدى تأثر الشعراء بظروفهم الذاتية والموضوعية، ومن الظواهر النفسية التي برزت بقوة في الأدب العربي القديم ظاهرة الاغتراب النفسي، التي تتجسد في شعور الشاعر بالانفصال عن محيطه، وعدم التكيف مع الواقع الذي يعيشه، وتُمثّل الخنساء إحدى أبرز الشاعرات اللاتي عكست هذه الظاهرة في أشعارهن، حيث كان لفقدان أخيها صخر الأثر العميق في نفسيتها، فانعكس ذلك في رثائها له، الذي طغى عليه الحزن العميق، والحنين الدائم، وشعور بالغربة في المكان والزمان والمجتمع.

واقتضت طبيعة الدراسة إلى تقسيمه على مبحثين رئيسين:

١.المبحث الأول: مفهوم الاغتراب النفسي وأسبابه.

٢.المبحث الثاني: مظاهر الاغتراب النفسي في شعر الخنساء.

ثم خاتمة بها النتائج التي توصلنا إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع .

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج النفسي، بدراسة الحالة الشعورية للخنساء، وتحليل أشعارها وفق معايير التحليل النفسي التي تكشف عن تأثير الحزن والصدمات العاطفية على إنتاجها الشعري.

المبحث الأول

الاغتراب وأسبابه

يُعد الاغتراب أحد أهم المصطلحات الحديثة التي تعرضت لعدد من الدلالات المختلفة، وبخاصة فيما يتعلق بالدور الذي يقوم به المفهوم ومكوناته على الأدب العربي القديم، ومن هنا كان حريّ بالبحث أن يعرف الاغتراب في اللغة والاصطلاح،

ونجد أن الاغتراب مأخوذ من الجذر اللغوي غرب، فيقال: "غرب السيف، أي حدَّه، ويقال: استغرب الرجل، إذا بلغ حده الأبعد من الضحك، فالغرب هو الحد من كل شيء"(١)، والغُربة والغُرب، فهو النزوح عن الوطن، والبعد عنه، والتغرّب كذلك، يقال: غربة الدهر، واغترب عن وطنه، إذا ابتعد عنه، يقال للرجل غريب، أي بعيد عن وطنه، وللمرأة غريبة(٢)، وأشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن الاغتراب مصدر من الفعل اغترب، وهو مصطلح دال على معنى الضياع، وفقدان الإنسان شخصيته، وكيانه مما يجعله يحس بالحاجة إلى الثورة والخروج على المألوف؛ كي يستعيد هذا الكيان، وتلك الشخصية(٣)، ويتضح من التعريفات اللغوية السابقة أن الاغتراب في معناه اللغوي يدل على البعد والابتعاد والإحساس بالضياع في اللغة عامة، والغريب هو الإنسان البعيد عن وطنه، والأنثى غريبة، ونجد إن المستشرق فروم يعد أول من قدم الاغتراب بوصفة مصطلحًا أدبيًا، وبرصفه مكونًا نفسيًا، وقد عرَّف الاغتراب بأنه: "هو ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها، وتصبح متحكمة فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته"(٤).

والاغتراب له مراتب ذكرها إليها ابن القيم الجوزية، فقال: الاغتراب هي: الاغتراب عن الأوطان، وفيه يكون الإنسان مغتربًا عن وطنه، بعيدًا عن مكوناته البيئية التي يعيشها، ويحبها، والثاني: غربة الحال، وهي التي يكون فيها الإنسان مغتربًا عن المجتمع الذي يعيش فيه، كحياة العالم بين الجهال، والصادق بين المنافقين، والمؤمن بين الكفار، أو رجل صالح في زمن فاسد، يعيش بين أناس فاسدين، أما الدرجة الثالثة:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧م: ٤٢٠/٤

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ: ٦٣٩/١.

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة– مصر، ط١، ٢٠٠٨م: ١٦٠٢/٢.

(٤) الاغتراب في الشعر العباسي– القرن الرابع الهجري، سميره سلامي، دار الينابيع، دمشق– سوريا، ط١، ٢٠٠٠م: ١٩.

فهي غربة الهمة: وهي غربة طلب الحق، وهي غربة العارف؛ لأن العارف في شاهده غريب[١] .

أنواع الاغتراب:

لأنَّ البحث يعرض للاغتراب النفسي في شعر الخنساء، ولأن الاغتراب النفسي أحد أنواع الاغتراب، فإنني سوف أعرض لأنواع الاغتراب؛ لأنه على الرغم من تعدد أنواعه، إلا أن هذه الأنواع متصلة فيما بينها وأنواع الاغتراب تختلف تبعًا لحالة المغترب وطبيعة المعاناة، فليس أمر الاغتراب مقصورًا على الجانب الإبداعي الفني الأدبي فحسب، بل هناك أنواع كثيرة من الاغتراب التي تناولها الباحثون والدارسون ضمن أطر الدراسات الإنسانية المختلفة، وهذه الأنواع هي:

أولاً: الاغتراب الاجتماعي

يحدث هذا الاغتراب بسبب أن الإنسان كثيرًا ما يصاب بالإحباط جراء المجتمع الذي يعيش فيه، وربما كان السبب وراء هذا الإحباط عائدًا إلى مخزون اللاوعي الذي استقر في نفس هذا الإنسان، ومن ثم وجد هذا المخزون لا يتوافق مع طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، الأمر الذي يخلق شيئًا من التغاير والتخالف بين ما لدى هذا الإنسان، وما يمليه مجتمعه عليه من جانب آخر، ومن هنا يقضي هذا الإنسان حياته غير كامل النمو[٢]، ويتضح أن صور التعبير عن الاغتراب الاجتماعي تختلف باختلاف الثقافات فضلًا عن أنها تختلف من شخص لآخر في إطار الثقافة الواحدة تبعًا لاختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ومع ذلك فإن هناك ما يشبه الاتفاق بين المهتمين بموضوع الاغتراب على أن هناك علاقة بين الإحساس بالاغتراب وبين الانحراف الاجتماعي بكل أشكاله سواء أكانت الجريمة أم الإدمان أم

(١) ينظر: مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط٣، ب, ت: ٣/١٩١–١٩٣.

(٢) ينظر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، نبيل رمزي إسكندر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية –مصر، ط١، ١٩٨٨م: ٣٢.

التفكك الأسري، أم الأمراض النفسية، والعصبية، والجسمية[١]، ويوجد عدد من العوامل التي توقع الإنسان في الاغتراب الاجتماعي، وهي ما تتعلق بحياة الفرد ضمن مجموعته الاجتماعية التي ينضوي إليها، فإذا لم يجد هذا الفرد توافقًا بينه وبين هذه المجموعة الاجتماعية، فإنه لا شك سيحس بأنه غريب عنها.

ومن شواهد الاغتراب الاجتماعي في شعر الخنساء قولها:

فَقَد وَدَّعتُ يَومَ فِراقِ صَخرٍ أَبي حَسّانَ لَذّاتي وَأُنسي

فَيا لَهفي عَلَيهِ وَلَهفَ أُمّي أَيُصبِحُ في الضَريحِ وَفيهِ يُمسي؟[٢]

في البيت الأول، تصف الخنساء كيف أن لحظة فقد أخيها كانت لحظة نهاية كل ما يمنحها السعادة والأنس، فهي لا تقول فقط إنها فقدت أخاها، بل فقدت معه كلّ ما يجعل الحياة جميلة أو ذات معنى، وهذا يدل على غربة اجتماعية عميقة، لأنها لم تعد تجد أنسًا أو لذّة في علاقاتها بالناس من حولها؛ وكأنها انفصلت وجدانيًا عن المجتمع، وأصبح صخر هو محور عالمها الوحيد، وبعده باتت غريبة عن كل شيء، والغربة الاجتماعية هنا تظهر في انعزال الخنساء عن مجتمعها بعد فقد صخر، فهي لا تتحدث عن الناس من حولها، ولا عن مواساتهم أو مشاركتهم لها، بل تركّز فقط على حزنها وحزن أمها، وكأن من تبقّى من المجتمع لم يعد يشكل لها سندًا أو حضورًا معنويًا.

وفي البيت الثاني يصبح الضريح رمزًا لمكان آخر، بعيد، صامت، معزول، مقابل مجتمع الأحياء. فحين تقول: "أيُصبح في الضريح وفيه يُمسي", فهي لا تعني فقط الموت، بل كأنها تشير إلى انتقال صخر من عالمها إلى عزلة أبدية، وهو ما يعمّق غربتها الاجتماعية؛ لأنه كان من يمنحها الشعور بالانتماء، ومعه فَقَدت هذا الرابط، وفي عمق هذا التعبير، نجد أنها لم تعد ترى نفسها جزءًا من مجتمعها الحي، بل تنظر إلى الضريح – إلى الميت – وكأنه صار موطنها العاطفي، في مقابل شعورها بالوحشة بين الناس.

---

(١) ينظر: الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقته بمدى تحقق حاجاتهم النفسية، وفاء موسى، رسالة ماجستير– جامعة دمشق، سوريا، ٢٠٠١م: ١٧.

(٢) شعر الخنساء، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر– بيروت، ١٩٥١م: ١٢٠.

ثانيًا: الاغتراب النفسي

يوجد ترابط وثيق بين الاغتراب الاجتماعي والاغتراب النفسي، حيث يؤدي الاغتراب الاجتماعي إلى ظهور مشاعر الاغتراب النفسي، وفي المقابل يسهم الاغتراب النفسي في تعزيز الاغتراب الاجتماعي، مما يجعل كلا النوعين مرتبطًا بشكل متبادل والاغتراب انفسي لا يقع الا بوجود عنصرين، الأول: الذات، والثاني: الواقع، فبغير هذين العنصرين لا يمكن أن يقع الاغتراب، إذ إن الذات هي التي يمارس ضدها الاغتراب، في حين أن الواقع هو مسرح الاغتراب ذاته(١)، من ذلك قول الخنساء:

وَكُلُّ عَبرى تَبيتُ اللَيلَ ساهِرَةً تَبكي بُكاءَ حَزينِ القَلبِ مُشتاقِ(٢)

هذا البيت يصور حالة نفسية من الحزن والسهر والبكاء، وهي سمات بارزة للاغتراب النفسي، حيث يشعر الشاعر بانفصال داخلي عن محيطه، وغرقٍ في مشاعر الحزن والشوق، مما يعكس تأزمًا داخليًا وافتقادًا للسكينة.

وفي حالة الاغتراب النفسي "ينتقل الصراع بين الذات والموضوع من المسرح الخارجي إلى المسرح الداخلي في النفس الإنسانية، إنه اضطراب علاقة الذات بالموضوع على مستويات ودرجات مختلفة تقترب حينًا من السواء وحينًا آخر من الاضطراب، وقد تصل إلى اضطراب الشخصية"(٣)، وثمة عوامل تؤدي إلى الاغتراب النفسي، بعضها يتمثل في انفصال الشخص عن ذاته، فإن هذا الانفصال الداخلي الذي يقع على ذات الشخص من شأنه أن يؤدي إلى اغتراب نفسي داخلي، واضطراب واقعي يضمن حياة الإنسان الداخلية، بالإضافة إلى أن الشخص قد يقع في تناقض كبير بين الذات الواقعية التي يعيشها الإنسان هو، والذات المثالية التي يسعى إلى تحقيقها، الأمر

(١) ينظر: أزمات الشباب النفسية، محمد إبراهيم عيد، مكتبة الزهراء، مصر، ط١، ب, ت: ١٦.

(٢) ديوان الخنساء، شرحه: ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني (ت: ٢١٩)، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار– عمان، ط١، ١٩٨٨م: ٣٤٤.

(٣) المجتمع السليم، إربك فروم ، ترجمة: محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة– مصر، ط١، ١٩٦٠م: ١٠٢.

الـذي يدفعـه نحـو الشـعور بالإضـراب والعجـز، وهـو مـا ينتهـي بـه إلـى الاغتـراب[١]، وإن الاغتـراب النفسـي هـو أحـد أهـم وأبـرز أنـواع الاغتـراب، وأنماطـه عنـد الأشـخاص فـي المجتمعـات البشـرية علـى وجـه العمـوم، وعنـد الشـاعر علـى وجـه الخصـوص، فـإن الصـراعات النفسـية التـي يعيشـها الشـاعر لا شـك ستقضـي بـه إلـى الإحسـاس بعناصـر الاغتـراب النفسـي، فيشـعر أنـه فـي انفصـال عـن ذاتـه، وغيـر قـادر علـى تحقيـق الـذات المثاليـة التـي يسـعى إليهـا، الأمـر الـذي يدفعـه إلـى التعبيـر عـن هـذه المشـاعر التـي تختلج فـي داخلـه عـن طريـق الأشـعار التـي يكتبهـا معبـرًا عـن هـذه الحالـة التـي يمـر بهـا، وتوجـد أنواع أخرى للاغتراب.

أبرز عوامل الاغتراب:

إن عوامـل الاغتـراب كثيـرة، تتنـوع وتختلـف فيمـا بينهـا، وتختلـف أيضًـا فـي تأثيرهـا مـن شـخص لآخـر، ومـن مجتمـع لمجتمـع لآخـر، غيـر أنهـا فـي مجملهـا تعـد العوامـل الرئيسـة فـي تشـكيل عناصـر الاغتـراب عامـة عنـد الأشـخاص والنـاس، وفيمـا يـأتي ذكـر أهم هذه العوامل.

أولًا: العوامل الذاتية

يُعـد هـذا العامـل مـن أهـم العوامـل التـي تقـود إلـى الاغتـراب، وذلـك لأن الإنسـان إذا أحس أنـه غريـب عـن ذاتـه، وأنـه غيـر قـادر علـى التعامـل معهـا، وهـذا قـد يـؤدي حتمًـا إلـى حالـة مـن الاغتـراب المؤكـد، ولـذلك يجـب علـى الإنسـان أن يمتلـك القـدرة علـى فهـم ذاتـه والتعامـل معهـا بـوعي وكفـاءة[٢] ,ولا يكتفـي أن يعـرف الإنسـان نفسـه علـى الـرغم مـن أهميـة ذلـك، ومـن الضـروري أن يتقبـل الإنسـان ذاتـه كمـا هـي، مهمـا كانـت الظـروف. فعـدم التقبـل الـذاتي يـؤدي إلـى تحديـد أهـداف للحيـاة ومسـتويات طمـوح لا تتماشـى مـع الإمكانـات المتـوفرة، سـواء كانـت أكبـر أو أقـل مـن الواقـع، ممـا يفضـي فـي كلتـا الحـالتين إلـى الشـعور بخيبـة الأمـل وضـعف الثقـة بـالنفس وصـعوبة التكيـف، كمـا لا تكفـي أيضًـا

(١) ينظر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، نبيل رمزي إسكندر: ٤٦.

(٢) ينظر: الاغتراب، نبيل رمزي إسكندر: ٨٤.

معرفة الذات على مبدأ الاطلاع الحسن أو أخذ العلم، أو تقبل الذات بمثابة لا حيلة له في ذلك، أن الضروري تقدير الذات واحترامها ومنحها قيمة إيجابية، بحيث يشعر الفرد بالثقة والجدارة الكافية لتحقيق الرضا الذاتي، من ذلك قول الخنساء:

جموع الضيوف إلى بَيتِهِ ... يَرى أَفضَلَ الكَسبِ أَن يُحمَدا[١]

هذا البيت يُبرز نظرة الشاعر لنفسه بوصفه مستحقًا للمجد، بل إن المجد نفسه "يهوي إلى بيته"، وهذا تعبير عن عزة النفس وتقدير الذات، والشطر الثاني "يرى أفضل الكسب أن يُحمدا" يُظهر قيمة معنوية عليا يسعى لها الشاعر، وهي المدح والشكر، لا المكاسب المادية. وهذا يدل على وعي داخلي ذاتي بقيمة النفس، ويُمكن استشفاف خيبة أمل ضمنية في أن هذا التقدير قد لا يكون دائمًا من قبل الآخرين، مما يعزز فكرة الغربة الذاتية والشعور الداخلي بالتفرد وربما عدم التقدير الكافي.

وعليه فإن العوامل الذاتية "تكمن وتتمثل في داخل الفرد الذي توجهه تكويناته واستعداداته وقدراته البدنية والعقلية والنفسية نحو التكيف والسواء السلوكي أو اللا تكيف والاغتراب"[٢] , فالاغتراب ينبع من ذات الشخص في كثير من الأحيان، والشاعر بوصفه مرهف الحس يهتم بمكونات نفسه الداخلية، وتشكيلات ذاته، فإن هذا العامل ذو أهمية بالغة في ظهور الاغتراب في أشعار الشعراء.

ثانيًا: العامل الاجتماعي

الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً يتأثر بتلك العوامل البيئية والمجتمعية التي تحيط به، ويكون لهذه العوامل أسبابها التي تسهم في تشكيل شخصيته، وإظهار عناصر نفسيته، فإن المجتمع بكل ما فيه من مكونات له تأثيره المباشر على الشخص، وهذه المؤثرات تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى، ومن زمان إلى زمان آخر، فالمؤثرات التي كانت قبل قرنين من الزمان ليست هي ذاتها في العصر الحاضر، كما أن المؤثرات التي تبرز في عصرنا الحاضر ليست هي ذاتها التي سيؤثر في القرون المقبلة على البشرية[٣].

(١) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ١٤٦.

(٢) الاغتراب، نبيل رمزي إسكندر : ٣٩.

(٣) ينظر: أزمات الشباب النفسية، محمد إبراهيم عيد: ٢٨.

أما العوامل الاجتماعية التي ساهمت في غربة الخنساء فقد عاشت الخنساء في بيئة اجتماعية قبلية شديدة التقلب، وكان لهذه البيئة أثر بالغ في تشكيل شخصيتها الشعرية والنفسية، فقد تأثرت بعوامل اجتماعية عدّة عمّقت من شعورها بالغربة والانكسار، أولها فقد الأحبة في مجتمع قبلي يقدّس العصبية والانتماء العشائري، حيث مثّل مقتل أخويها "صخر" و"معاوية" صدمة وجدانية ونفسية انعكست في شعرها الذي اتسم بالحزن العميق والرثاء الدائم، كما في قولها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علمٌ في رأسه نارُ[١]

فقد كان "صخر" بالنسبة لها رمزاً للقوة والسند، وفقده كان فقداً للمكانة والمهابة في مجتمعها، وثاني هذه العوامل يتمثل في دور المرأة المحدود في المجتمع الجاهلي، فقد عاشت الخنساء في ظل مجتمع يحصر المرأة في زوايا الصمت والظل، فكان الشعر سبيلها الوحيد للتعبير عن ألمها ووجودها، وهكذا، فإن غربة الخنساء لم تكن مجرّد غربة مكان، بل كانت غربة فقد، وغربة دور، وغربة تحول اجتماعي، كلّها عوامل صاغت تجربتها الشعرية الفريدة وجعلت من شخصيتها صوتاً نسوياً متميزاً في الشعر العربي القديم.

ثالثًا: العامل الثقافي

ومن أسباب الاغتراب الأسباب الثقافية التي تحيط بالشخص في مجتمعه، فإن لها تأثير بالغ الأهمية على حياة الإنسان، فإن أي اختلال في هذا المكون الثقافي، فإنه لا شك سيؤدي إلى اختلال في نفسية هذا الإنسان، ومن ثم يقوده إلى الاغتراب[٢].

(١) شعر الخنساء: ٧٠.

(٢) ينظر: أزمات الشباب النفسية، محمد إبراهيم عيد: ٢٩.

رابعًا: العامل الاقتصادي

وهي لا تقل أهمية عما سبقها من أسباب، فالشخص حينما يقع في مشكلة اقتصادية كبيرة، فن ذلك يدفعه إلى الإحساس بالعجز، وهذا ما يقوده إلى الاغتراب، والإحساس بالغربة في مكانه وموضعه، الأمر الذي يؤدي به إلى التمحور حول ذاته، وربما قاده إلى مشكلات نفسية كبرى، قد يكون الاغتراب واحدا من أهمها وأبرزها(١)، من ذلك قول الخنساء:

إِذا القَومُ مَدّوا بِأَيديهِمِ إِلى المَجدِ مَدَّ إِلَيهِ يَدا

فَنالَ الَّذي فَوقَ أَيديهِمِ مِنَ المَجدِ ثُمَّ مَضى مُصعِدا

يُكَلِّفُهُ القَومُ ما عالُهُم وَإِن كانَ أَصغَرَهُم مَولِدا

وَإِن ذُكِرَ المَجدُ أَلفَيتَهُ تَأَزَّرَ بِالمَجدِ ثُمَّ اِرتَدى(٢)

الأبيات تُشير إلى أن صخراً كان يُكلّف بأعباء القوم وحاجاتهم المعيشية والاقتصادية، رغم أنه أصغر منهم سناً، ما يدل على مكانته كمعيلٍ اقتصاديٍ مهم، وفقده أدى إلى فراغ مادي لدى جماعته، وهو شكل من أشكال الاغتراب المرتبط بالحاجة والفقر بعد فقد العائل، وتدل على أن بيت صخر كان مقصدًا للناس، والمجد نفسه – أي الكرم والجاه والثراء – كان يُنسب إليه، ما يعني أن بيته كان مكانًا يُلجأ إليه في الحاجة، أي كان يُغني الناس، وغيابه ترك أثرًا اقتصاديًا ونفسيًا معًا، وتُشير إلى أن صخر كان يُمثل رمزًا للكرم والوجاهة، وهي مرتبطة بالقدرة الاقتصادية، مما يعزز فكرة أن غيابه أحدث اغترابًا عن الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

من هنا فإن العوامل سالفة الذكر تعد هي أهم الأسباب التي تكمن وراء إحساس الإنسان بالغربة، والاغتراب في مجتمعه، أو في دينه أو في عقيدته، أو أي شكل من أشكال الاغتراب.

يتّضح من خلال هذا المبحث أن الاغتراب النفسي في شعر الخنساء لا يُفهم على نحوٍ كامل إلا في ضوء فهم الأنواع الأخرى من الاغتراب، لما بينها من ترابط وتداخل. فالخنساء لم تكن تعاني اغترابًا نفسيًا فحسب، بل كان اغترابها مركبًا، تنوّعت

(١) ينظر: الاغتراب، نبيل رمزي إسكندر: ٤٠.

(٢) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ١٤٤–١٤٥.

أسبابه بين الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والذاتي. وقد شكّلت هذه العوامل مجتمعة بيئة خصبة لصياغة تجربة شعرية عميقة، حيث انعكس فقد الأحبة، وتقلّص دور المرأة، والتحولات القبلية والاجتماعية، على وجدان الشاعرة، فصار شعرها مرآة لاغتراب داخلي موغل في الحزن، يعكس تمزق الذات بين ما كانت عليه وما آلت إليه. وهكذا، فإن الاغتراب النفسي عند الخنساء ليس معزولًا عن سياقه، بل هو امتداد لاغتراب اجتماعي وثقافي واقتصادي، جعل من صوتها الشعري تجربة نسوية متميزة تعبّر عن معاناة وجودية شاملة.

المبحث الثاني

مظاهر الاغتراب

إنّ الشخص الذي يحسّ بالاغتراب لابد أن يتمتع بمجموعة من السمات التي من شأنها أن تحقق عناصر الاغتراب لديه، فتشير تلك العناصر إلى أن هذا الفرد يشعر بالاغتراب في المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه السمات من الممكن أن يشترك فيها كل الأفراد الذين يشعرون بالاغتراب، وصنف "ليفين سيمان" مظاهر الاغتراب عند الإنسان، التي تتمثل بالعجز، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، وفقدان المعنى أو المغزى، والاغتراب الذاتي، وهذه العناصر التي أشار إليها سيمان تمثل مظاهر الاغتراب لدى الشخصية الإنسانية، وقد أخذ سيمان يفسرها، وفقًا لما تمليه عناصر التحليل النفسي لهذه المكونات(١).

فنجد إن العجز يشير إلى إحساس الفرد بالعجز، والفشل تجاه تحقيق ما يطمح إليه، وشعوره بالإحباط الناتج عن وجود فجوة بين ما يتوقعه من نتائج، وما يتمناه حقيقة، فالشاعر حينما يعاني الاغتراب، فإنه يشعر بالعجز بوصفه أحد مكونات المظاهر التي يتميز بها المغترب عمن سواه، فالخنساء مثلًا تشعر بالعجز تجاه فقدها أخويها، وأنها لا حيلة لها في إرجاع هذا الذي فقد. فتقول:

(١) ينظر: الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعًا، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ١٠– العدد الأول: ١٥ .

أَلا يا عَينِ فَانهَمِري بِغُدرٍ وَفيضي فَيضَةً مِن غَيرِ نَزرِ

وَلا تَعِدي عَزاءً بَعدَ صَخرٍ فَقَد غُلِبَ العَزاءُ وَعيلَ صَبري

لِمَرزِئَةٍ كَأَنَّ الجَوفَ مِنها بُعَيدَ النَومِ يُشعَرُ حَرَّ جَمرِ

عَلى صَخرٍ وَأَيُّ فَتىً كَصَخرٍ لِعانٍ عائِلٍ غَلَقٍ بِوَترِ(١)

في هذه الأبيات تعبّر الخنساء عن حزنها العميق على فَقْد أخيها صخر، فتبدأ بنداء مؤثر لعينها تأمرها فيه بالبكاء المستمر والغزير، بلا توقف ولا حساب، وكأنها ترى أن الدمع وحده هو القادر على مواساة قلبها المكلوم. فهي لا تطلب من العين البكاء العادي، بل الانهمار بغزارة، حتى لكأن العين تخون الجفون بغدرها المستمر، ثم تنتقل إلى التعبير عن يأسها التام من العزاء، فتنفي أن يكون هناك عزاء بعد صخر، إذ فقدت بصبرها قوته، وغلبها الحزن فلم تعد تجد في المواساة معنى. وهذا يعكس عجز النفس عن التحمّل بعد فقد من يُعدّ سندًا وعضدًا لا يُعوّض، وتصف المصيبة بأنها نار داخل الجوف، لا تهدأ، بل يُشعر بحرها حتى بعد النوم، كأن جمرة وُضعت في صدرها، وهذا تصوير بالغ للحزن المقيم الذي لا يبرد بمرور الزمن، بل يبقى ملتهبًا كأنّ الفقد حدث للتو.

أمّا اللامعيارية فإنها تشير إلى تشتت المعايير أو ربما انعدامها، أو حتى تهدمها، حيث يفشل الأفراد بالافتقار إلى المعايير الاجتماعية التي تضبط سلوكياتهم، أو عدم قدرتهم على الاندماج في القيم الجديدة للمجتمع ، أو شعورهم بضياع المعايير التي كانت تحظى لديهم بالإحترام(٢).

وتعني العزلة الاجتماعية إحساس الإنسان بالانعزال التام أو الجزئي عن المجتمع الذي يعيش فيه، سواء أكانت هذه العزلة ثقافية أم غير ذلك، كما يحس الفرد بأنه غير قادر على التكيف ضمن هذا المجتمع، والعيش فيه ضمن أطر الحياة المختلفة كما

(١) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ١٧٧–١٧٨.

(٢) ينظر: الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعا، قيس النوري: ١٥ .

يريدها، وإنما يبقى إحساسه في طبيعة هذا الانعزال الاجتماعي للمكونات التي تحيط به[١].

ونجد أن انعدام المعنى أو فقدان المغزى هو مظهر من مظاهر الاغتراب يعني أنّ الفرد يأخذ بالإحساس أن الحياة التي يعيشها لا معنى لها، وأن الأشياء التي تحيط به من حوله لا مغزى لها، ولا قيمة لوجودها، أو تلك الأشياء التي يعملها، أو يمارسها، فإنه يأخذ بالإحساس أن هذه المكونات لا تؤدي هدفًا، ثم يتبع ذلك إحساسه بعدم الرضا عن هذه المكونات والأعمال والأحاسيس[٢].

أمّا الاغتراب عن النفس فإنه يشير إلى ما ينطوي عليه الفرد من أحاسيس تقود إلى عدم رضاه عن نفسه، وشعوره بأنه منفصل عن ذاته، كما يحس أنه لا ينتمي إلى نفسه، أو ذاته، فهو يعاني من هذه الازدواجية في الطرح، كما يعاني من فقدان الثقة بنفسه، وربما كانت هذه المشاعر نتيجة لحالات مرَّ بها الإنسان في سنوات عمره الأولى، بقيت في مكنوناته الداخلية، وأخذت بالتأثير في عناصر الحياة لديه[٣]، وهذه الصورة تعكس إنسانًا يعيش في عزلة شعورية، ومفارقة قاسية بين ما يبدو عليه وبين ما يعيشه في داخله، وهي جوهر تجربة الاغتراب التي يصفها الأدب والفكر بأنها فقدان للصلة بالحياة رغم الوجود فيها، فتقول الخنساء في ذلك:

تَقُولُ نِسَاءٌ شِبْتِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ وَأَيْسَرُ مِمّا قَدْ لَقِيتُ يُشِيبُ

أَقُولُ أَبَا حَسَّانَ لَا الْعَيْشُ طَيِّبٌ وَكَيْفَ وَقَدْ أُفْرِدْتُ مِنْكَ يَطِيبُ[٤].

في هذين البيتين يعبّر الشاعر عن تجربة وجدانية عميقة تتداخل فيها مشاعر الاغتراب وفقدان طعم الحياة ومعناها. ففي البيت الأول، يتحدث عن تعجّب النساء من ظهور الشيب في رأسه مع أنه لم يبلغ من العمر مبلغ من يُتوقّع منه الشيب، فيرد بأن ما مرّ به من مآسٍ

(١) ينظر: المرجع نفسه : ١٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسه: ١٦.

(٣) ينظر: الاغتراب مصطلحًا ومفهوما وواقعا، قيس النوري: ١٩ .

(٤) شعر الخنساء: ٢١.

وتجارب قاسية، رغم بساطتها في الظاهر، كان كفيلًا بأن يُشيب الرأس ويُنهك النفس، هذا الشيب المبكر رمز لحمل ثقيل من المعاناة، وهو في جوهره تعبير عن اغتراب داخلي؛ فالشاعر لا يعيش مرحلة عمره كما ينبغي، بل شاخ وجدانه قبل جسده نتيجةً لما لاقاه، وفي البيت الثاني، يكشف لنا عن سبب هذه المعاناة والاغتراب، فيخاطب أبا حسان، ويقول له إنّ الحياة لم تَعُد طيّبة بعد فراقه، ويتساءل مستنكرًا: كيف للعيش أن يطيب وقد فارقته؟ وهنا تظهر بوضوح فكرة انعدام المعنى والطعم في الحياة، إذ إن فقدان من يحب جعله يعيش حالة من الوجود بلا معنى، حيث تحوّلت الحياة إلى فراغ عاطفي ونفسي، لا تسرّ ولا تُحتمل. إنه يغترب عن العالم من حوله لأنه لم يعُد يتّصل به وجدانيًا، فالآخر الذي كان يمنح لحياته طعمًا اختفى، فتفكّك معه المعنى كله.

وهذا ما يعبر عنه في الدراسات الأدبية والشعرية بانه الاغتراب النفسي، أو الاغتراب الذاتي، فكلاهما يشيران إلى مفهوم واحد يتلخص بإحساس الشاعر من انه غريب عن نفسه التي بين جنبيه، منفصل عن ذاته ولا يحس بأي انتماء لها.

وبعد فإن هذه هي أهم المظاهر التي يتسم بها الفرد في حال كونه يعاني من بعض عناصر الاغتراب، ولا يشترط أن تجتمع جميع هذه المظاهر في شخصية واحدة لتتصف بالاغتراب، بل ربما اتصف الفرد بمظهر واحد من هذه المظاهر، أو أكثر وربما اتصف بها جميعًا، وربما انقسمت بعض المظاهر إلى عناصر داخلية مكونة للمظهر العام الكلي، الأمر الذي يؤدي إلى تركيب اغترابي داخلي لدى هذا الفرد، فيغدو هذا التركيب سمة عامة فيه.

ويمكن القول إنما يعنينا من هذه المظاهر في هذا البحث هي مظاهر الاغتراب النفسي؛ لأن دوافع الاغتراب عند الخنساء كانت نفسية، حينما نمثل في هذا البحث للاغتراب النفسي عند الخنساء تلك الشاعرة المخضرمة، فإن الكشف عن طبيعة الحياة النفسية التي عاشتها الخنساء، فليس من الصعوبة بمكان أن نفهم تلك الحياة، فعند النظر إلى الأعمال الشعرية التي أنتجها الخنساء سيتجلى بوضوح أن أعمالها كشفت عن كثير من ملامح شخصيتها، وعناصر حياتها، إذ إن العناصر النفسية لها أثرها البالغ في تحديد طبيعة الحياة النفسية، وطبيعة العناصر المكونة للشخصية الأدبية.

وتبدو ملامح الاغتراب النفسي واضحة في أشعار الخنساء حينما تتحدث عما حدث بها من مصيبة، مثلما حلَّ بها عندما فقت أخاها صخر، فتصبح الأرض ضيقة عليهم، وتبدو الدنيا ولا مفر منها، وشدة الحزن وألم الفقد تجعل الشاعرة تمر بحالة من القنوط لنفسي، ومن ذلك رثاؤها لأخيها صخر، فتقول من البسيط:

ضاقَت بِيَ الأَرضُ وَانقَضَّت مَخارِمُها ... حَتّى تَخاشَعَتِ الأَعلامُ وَالبيدُ

وَقائِلينَ تَعَزّي عَن تَذَكُّرِهِ ... فَالصَبرَ لَيسَ لِأَمرِ اللَهِ مَردودُ

يا صَخرُ قَد كُنتَ بَدراً يُستَضاءُ بِهِ ... فَقَد ثَوى يَومَ مُتَّ المَجدُ وَالجودُ

فَاليَومَ أَمسَيتَ لا يَرجوكَ ذو أَمَلٍ ... لَمّا هَلَكتَ وَحَوضُ المَوتِ مَوروُدُ

وَرُبَّ ثَغرٍ مَهولٍ خُضتَ غَمرَتَهُ ... بِالمُقرَباتِ عَلَيها الفِتيَةُ الصيدُ

نَصَبتَ لِلقَومِ فيهِ فَصلَ أَعيُنِهِم ... مِثلَ الشِهابِ وَهى مِنهُم عَباديدُ[1]

فتصف الخنساء في الأبيات السابقة الحالة النفسية التي نقلتها إلى الاغتراب، فإنها سدت عليهم الأرض جميعًا، فعلى الرغم من أن الأرض شديدة الاتساع، واسعة الفجاج، فيها الجبال والسهول، إلا أن شدة الحزن والأسى التي تعانيها الخنساء سدت عليها مخارم الأرض جميعًا، وشيقت عليها الدنيا من حولها، فبدت الدنيا من حولها مظلمة، هذا كله بالرغم من جود من هم حولها يعزونها ويقولون لها إن هذا الأمر لله تعالى لا مرد له، وخير ما يصنعه المرء في هذه الحالة هو الصبر الجميل، فردت عليهم بأن صخرًا ليس كغيره من البشر، فهو كالقمر المنير الذي يستضاء به، ففقده ليس كفقد أي شخص آخر.

(١) ديوان الخنساء، تماضر بنت عمرو، تحقيق وشرح :حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت _ لبنان، ط٢، ٢٠٠٤ م : ٣٨_٣٩ .

وإذا أردنا الوقوف على أبرز مظاهر الاغتراب في شعر الخنساء فيمكننا القول بأن هذا النوع من الاغتراب يظهر بوضوح في رثائها لأخيها صخر،حيث تعكس قصائدها إحساسًا عميقًا بالحزن والألم واليأس، مما يجعلها مثالا بارزًا للشاعر الذي يشعر بالانفصال عن الواقع بسبب فقدان عزيز، مما يعكس حالة من اليأس الشديد وانسداد الافق في وجهها، فأصبح لدى الشاعرة حالة من اليأس والشعور بالعزلة والانفصال عن الآخرين. فتقول:

لتأت المنية بعد الفتى المغادر بالمحو إذلالها

هَمَمتُ بِنَفسِيَ كُلَّ الهُمومِ فَأَولى لِنَفسِيَ أَولى لَها

سَأَحمِلُ نَفسي عَلى آلَةٍ فَإِمّا عَلَيها وَإِمّا لَها[1]

هذه الأبيات تظهر الصراع الداخلي للشاعر مع نفسه، وكيف يشعر وكأن هناك فجوة أو اغترابًا نفسيًا بينه وبين ذاته. من خلال هذه الأبيات، نشهد رحلة من القلق الوجودي والتردد، حيث يضع الشاعر نفسه في مواجهة قاسية مع رغباته وتوجهاته الداخلية، مُعبّرًا عن شعور بالانفصال بين الذات والواقع الذي يعيشه، وتظهر الخنساء في حالة من الصراع الداخلي العميق، حيث يعبّر عن الهموم التي تحيط به، وكأن هذه الهموم أصبحت جزءًا من نفسه. يتساءل: هل يستحق أن يعاني هذه الهموم؟ وتظهر معاناته في تأكيده على أنه أولى بنفسه من أي شيء آخر، وهذا يعكس الاغتراب عن ذاته، لأن هذا الصراع الداخلي بين الإنسان وهمومه هو شعور عميق بالانفصال عن ذاته أو فشل في التعامل مع مشاعره، وهذه المفارقة الداخلية بين الصبر والجزع تُظهر الانقسام العاطفي والنفسي، حيث يضع الشاعر نفسه في مواجهة مع نفسه، مترددًا بين خيارين قد يكون كل منهما صعبًا. هنا يعكس الشاعر شعورًا بالانفصال عن ذاته، إذ يشعر وكأن هناك قوى متصارعة داخل نفسه.

[1] ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ٨١–٨٤.

أبرز مظاهر الاغتراب في شعر الخنساء

أولًا: الاغتراب العاطفي

انعكس الاغتراب العاطفي في حزن الخنساء العميق، الذي لم تستطع تجاوزه، حيث تكررت في شعرها صور البكاء والحنين إذ تقول من الوافر:

يؤرِّقني التَّذكُّر حين أمسي فأُصبح قد بُليتُ بفرط نُكْسِ

على صخر، وأي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان حِلسِ[1]

وللخَصْمِ الألَـد إذا تَعَدّى ليأخُذَ حَقْ مَظْلُومِ بقِنسِ

هنا يظهر الحزن العميق المسيطر على حياتها، حين يجعلها أسيرة للألم، غير قادرة على الفرح مما يؤثر على الشاعرة بشكل قوي فقد أصبحت الشاعرة متعبة ومنهكه بسبب تذكرها لأخيها، وقد استخدمت الرموز والصور التي تعبر بها عن الحزن والتعب الذي أصابها من فراق أخيها صخر، واتسمت الشاعرة بعد هذا كله بالثبات والصمود في مواجهة التحديات النفسية الكبيرة، التي أصابتها، بحيث أصبحت تشعر بالغضب والانتقام على من يتعدى على حقوق المظلومين، وذلك لتحقيق العدالة بين أبناء المجتمع.

ثانيًا: الاغتراب الزماني

عاشت الخنساء في الماضي، وظل أخوها صخر حاضرًا في وجدانها، مما جعلها غير قادرة على تقبل الحاضر، لأن صخرا كان سيد ورئيس قومه لتصافه بالجود والكرم عند الأزمات وفي أيام الشح والقلة في الطعام، فكان من السباقين في الذبح والنحر إذ تقول من البسيط:

وإنَّ صخرًا لوالينا وسيدنا وإنَّ صخرًا إذا نشتو لنحارُ

وإنَّ صخرًا لمقدام إذا ركبوا وإنَّ صخرًا إذا جاعوا لعقارُ

وإنَّ صخرًا لتأتمُّ الهُداةُ به كأنَّه عَلَمٌ في رأسِه نارُ[2]

---

(١) ديوان الخنساء, تحقيق وشرح: حمدو طاس: ٧١ .

(٢) ديوان الخنساء, تحقيق وشرح: حمدو طاس: ٤٦.

فـي نصـها اسـترجاع زمـاني للماضـي مـع مقارنـة فـي زمـن الحاضـر، أي بعـد فقـد أخيهـا صـخر، فهـو معـروف بـين العـرب فـي إطعـام الفقـراء والجـائعين، وقـد وصـفت الشـاعرة أخاهـا بالجبـل العظـيم الـذي توقـد فوقـه النـار لكـي يلفـت الأنظـار اليـه، وهنـا تصـف صـخرًا كمـا لـو كـان مـا زال حيًـا وقائـدًا للناس،ممـا يبـرز عيشـها فـي زمنـه وعـدم تقبلهـا للواقـع الجديـد فهـي تسـترجع الماضـي وكأنهـا تعـيش فيـه، رافضـة الواقـع الجديـد، فـلا تـزال تـرى أخاها حيًا في مخيلتها، وكأن الزمن لم يتحرك منذ وفاته.

ثالثًا: الاغتراب المكاني

شـعرت الخنسـاء بالغربـة فـي وطنهـا، إذ أصـبحت الأمـاكن فاقـدة لمعناهـا بعـد رحيـل صـخر، ونجـد أن الأديـب عنـدما يكـون فـي صـراع داخلـي عنـد مشـاهدته الأشـياء فـي الواقـع وبـين الـذي يريـد تحقيقـه، فنـراه يبحـث شـعوريًا أو مـن غيـر شـعور نحـو الأشـياء غيـر المألوفـة لكـي يثبـت ذاتـه ووجـوده فـي الأمـاكن التـي عـاش فيهـا والتـي ينتمـي إليهـا[١]، فتقـول من مجزوء الكامل :

وابْكي لِصَخْرٍ إذْ ثَوَى بَينَ الضّريحَةِ والصفائِحْ

رَمْسًا لدَى جَدَثٍ تُذيعُ بِتُرْ بِهِ هُوجُ النوافِحْ

السيدُ الجَحْجاحُ وابنُ السادَةِ الشُّم الجَحاجِحْ

هنـا تشـعر بـأن الأمـاكن لـم تعـد كمـا كانـت، وكأنهـا فقـدت روحهـا بغيـاب صـخر، ممـا يعكـس شـعورًا بالغربـة حتـى فـي ديارهـا، معناهـا بعـد مـوت أخيهـا، ونجـد أن الاغتـراب المكـاني هـو كـل مـا يحـل الشـيء فيـه أو كـل مـا يحـوي ذلـك الشـيء، ويجعلـه متميـزًا ويفصـله عـن بـاقي الأشـياء[٢]، ويتضـح لنـا أن المكـان عنـد العربـي يتكـون مـن نوعـان، مكـان يميـل لـه ويحبـه ويألفـه، ومكـان آخـر يهـرب منـه ويرفضـه، فالمكـان الـذي يألفـه

(١)– ينظـر: سـيكولوجية الأبـداع فـي الفـن والأدب, يوسـف ميخائيـل أسـعد, الهيئـة المصـرية للكتـاب, ١٩٨٦م:١٠٢.

(٢)– ينظـر: نظريـة المكـان فـي فلسـفة ابـن سـينا, حسـن مجيـد العبيـدي, مراجعـة وتقـديم: الـدكتور عبـد الأمير الأعسم, دار الشؤون العامة, بغداد, ط١, ١٩٨٧م: ١٩.

وترتاح نفسه اليه يزود ذاكرته بالكثير من الصور الجميلة الباعثة للارتياح وتطمأن نفسه له لأنه يكون باعثًا للحياة الإنسانية الدافئة(١).

رابعًا: الاغتراب الاجتماعي

انفصلت الخنساء عن محيطها الاجتماعي، ويمثل هذا الشعور بعدم اندماجها مع المجتمع الذي تعيش فيه، أو انفصالها عن ذاتها، فيكون الاغتراب ظاهرة اجتماعية محضة، اقرتها الصراعات الاجتماعية المتناحرة فسلبة حرية الإنسان، واخضعته للواقع الذي يعيش فيه(٢)، حيث استمر حزنها رغم محاولات المجتمع دفعها إلى تجاوزه، إذ تقول من الوافر:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكرهُ لكل غروب شمس(٣)

يكشف هذا البيت بأن الخنساء لم تكن مثل غيرها من النساء اللواتي يتجاوزن الحزن سريعًا، بل بقيت أسيرة رثائها لعقود، بالإضافة الى انه يكشف عن رغبتها في الانفصال التام عن المجتمع إذ تشعر أن الألم الذي تعيشه لا يستطيع أحد أن يفهمه مما يجعلها غريبة بينهم .

خامسًا: الاغتراب الوجودي

انعكس هذا الاغتراب في إحساسها بعدم جدوى الحياة بعد فقدان صخر، حيث تمنّت الموت للقائه، وأن شعورها بأنه لا جدوى للعيش بعد أن فقدته واستعمالها لألفاظ تدل على مدى عجزها و وقوفها أمام الموت، فهي لا تريد العيش بدونه فتقول:

وما يَبكونَ مثلَ أخي ولكِنْ أُعَزّي النّفْسَ عنهُ بالتّأسي

فَلا واللهِ لا أنساكَ حتى أُفارِقَ مُهْجَتي ويُشَق رَمْسِي

فقَدْ وَدعْتُ يوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ أبي حَسانَ لَذاتي وأُنْسِي

(١) ينظر: المكان في الشعر العربي قبل الإسلام, حيدر لازم مطلك, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة بغداد, ١٩٨٧م: ٣١.

(٢) القلق والاغتراب في شعر ما قبل الاسلام, عمر طالب, دار عكاظ, المغرب, ١٩٨٨م: ١٩.

(٣) ديوان الخنساء, تحقيق وشرح: حمدو طاس : ٧٢.

هنا ترى بأن الحياة بلا صخر لا معنى لها، وكأن وجودها أصبح بلا هدف وبلا قيمة بعد فقدانه، ويتبين أن الشاعرة في هذه الأبيات تذكر حزنها لفراق أخيها وكيف أن المنية أخذته منها فهي تكون في حالة تتمثل بالعجز واليأس من أن تدفع المنية عن أخيها، فنجدها لا تفكر بالثأر له ولا نجد نزعة للثأر في أشعارها، فيكون مبدأ الشاعرة في الرثاء هو إظهار حالة تفهم بأن الفقيد ترك فراغًا كبيرًا يعتذر على أي أحد سده(١)، بعد هذه الوقفات واظهار أبرز الأبيات يتضح لنا بأن الخنساء لم تكن مجرد شاعرة رثاء، بل كانت تجسيدًا حقيقيًا للاغتراب النفسي في الشعر العربي القديم .

الخاتمة

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١. الاغتراب العاطفي: يظهر في شعر الخنساء من خلال حزنها العميق على فقدان أخيها صخر، مما يجعلها أسيرة للألم. تستخدم الخنساء صور البكاء والحنين لتعبير عن حالة الاغتراب العاطفي، حيث تشعر وكأنها لا تستطيع الفرح أو تجاوز الحزن بسبب فراقه.

٢. الاغتراب الزماني: تعيش الخنساء في الماضي حيث تحن إلى زمن أخيها صخر، الذي كان سيد قومه. يظهر ذلك بوضوح في شعرها حين تسترجع ماضيه المجيد وتجد صعوبة في تقبل الحاضر بعد وفاته.

٣. الاغتراب المكاني: تشعر الخنساء بالغربة في الأماكن بعد فقدان أخيها، حيث تصبح الأماكن فاقدة لمعناها. تعكس هذه الحالة شعورًا بالغربة في وطنها حتى في الأماكن التي كانت تعتبر مألوفة ومريحة لها سابقًا.

٤. الاغتراب الاجتماعي: انفصال الخنساء عن محيطها الاجتماعي يظهر في استمرارية حزنها رغم محاولات المجتمع دفعها إلى تجاوزه. تظهر في شعرها عزلتها عن الآخرين، حيث تشعر أن ألمها لا يستطيع أحد فهمه.

(١) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي, يوسف اليوسف, دار الحقائق, بيروت, ط٤, ١٩٨٥م: ٣٤٩.

يعكس شعر الخنساء شعورها بعدم جدوى الحياة بعد فقدان صخر، حيث تمنّت الموت للقائه. تعبر عن اليأس والعجز عن العيش دون أخيها، مما يجعل حياتها بلا معنى أو قيمة بعد فقدانه.

قائمة المصادر والمراجع

١– أزمات الشباب النفسية، محمد إبراهيم عيد، مكتبة الزهراء، مصر، ط١.

٢– الاغتراب في الشعر العباسي– القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع، دمشق– سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.

٣– الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقته بمدى تحقق حاجاتهم النفسية، وفاء موسى، رسالة ماجستير– جامعة دمشق، سوريا، ٢٠٠١م.

٤– الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعًا، ا قيس النوري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ١٠– العدد الأول.

٥– الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، نبيل رمزي إسكندر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية –مصر، ط١، ١٩٨٨م.

٦– ديوان الخنساء، تماضر بنت عمرو، تحقيق وشرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م.

٧– ديوان الخنساء، شرحه: ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني (ت: ٢١٩)، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار– عمان، ط١، ١٩٨٨م

٨– سيكولوجية الأبداع في الفن والأدب, يوسف ميخائيل أسعد, الهيئة المصرية للكتاب, ١٩٨٦م.

٩– شعر الخنساء، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر– بيروت، ١٩٥١م

١٠– فروم، إريك. فن الحب. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠

١١– القلق والاغتراب في شعر ما قبل الاسلام, عمر طالب, دار عكاظ, المغرب, ١٩٨٨م.

١٢– لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت– لبان، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٣– المجتمع السليم، إربك فروم ، ترجمة: محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة– مصر، ط١، ١٩٦٠م

١٤– مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط٣.

١٥– معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م

١٦– معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة– مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

١٧– معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ

١٨– معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

١٩– مقالات في الشعر الجاهلي, يوسف اليوسف, دار الحقائق, بيروت, ط٤, ١٩٨٥م.

٢٠– المكان في الشعر العربي قبل الإسلام, حيدر لازم مطلك, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة بغداد, ١٩٨٧م.

٢١– نظرية المكان في فلسفة ابن سينا, حسن مجيد العبيدي, مراجعة وتقديم: الدكتور عبد الأمير الأعسم, دار الشؤون العامة, بغداد, ط١, ١٩٨٧م.

List of resources and references

1. Psychological Crises of Youth, Muhammad Ibrahim Eid, Al-Zahra Library, Egypt, 1st ed.
2. Alienation in Abbasid Poetry - Fourth Century AH, Samira Salami, Dar Al-Yanabi', Damascus, Syria, 1st ed., 2000.
3. Alienation among Damascus University Students and Its Relationship to the Extent of Their Psychological Needs, Wafaa Musa, MA Thesis, Damascus University, Syria, 2001.
4. Alienation: Terminology, Concept, and Reality, Qais Al-Nouri, Alam Al-Fikr Magazine, Kuwait, Volume 10, Issue 1.
5. Alienation and the Crisis of Contemporary Man, Nabil Ramzi Iskandar, Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'a, Alexandria, Egypt, 1st ed., 1988.
6. Diwan Al-Khansa', Tamadur bint Amr, edited and explained by Hamdo Tammas, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 2004.
7. Diwan al-Khansa', explained by Tha'lab Abu al-Abbas Ahmad ibn Yahya ibn Sayyar al-Shaybani (d. 219 AH), edited by Anwar Abu Suwailem, Dar Ammar, Amman, 1st ed., 1988.
8. Psychology of Creativity in Art and Literature, by Youssef Mikhail Asaad, Egyptian Book Organization, 1986.

9. Poetry of al-Khansa', edited and explained by Karam al-Bustani, Sadir Library, Beirut, 1951.
10. Fromm, Eric. The Art of Love. Translated by Mujahid Abd al-Mun'im Mujahid, Dar al-Awda, Beirut, 1980.
11. Anxiety and Alienation in Pre-Islamic Poetry, by Omar Talib, Dar Okaz, Morocco, 1988.
12. Lisan al-Arab, by Ibn Manzur, Dar Sadir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
13. The Sound Society, Erbak Fromm, translated by Mahmoud Mahmoud, Anglo-Egyptian Library, Cairo, Egypt, 1st ed., 1960.
14. Madarij al-Salikeen (The Paths of the Wayfarers Between You Alone We Worship and You Alone We Ask for Help), Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, edited by Muhammad al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, 3rd ed.
15. Mu'jam al-Buldan (Dictionary of Countries), Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah al-Rumi al-Hamawi (d. 626 AH), Dar Sadir, Beirut, 2nd ed., 1995.
16. Dictionary of Contemporary Arabic, Ahmed Mukhtar Omar, Alam al-Kutub, Cairo, Egypt, 1st ed., 2008.
17. A Dictionary of Obscure Names of Countries and Places, Abu Ubaid Abdullah ibn Abd al-Aziz ibn Muhammad al-Bakri al-Andalusi (d. 487 AH), Alam al-Kutub, Beirut, 3rd ed., 1403 AH
18. A Dictionary of Language Standards, Ibn Faris, edited by Abd al-Salam Harun, Dar al-Fikr, Cairo, Egypt, 1st ed., 1997.
19. Articles on Pre-Islamic Poetry, Yusuf al-Yusuf, Dar al-Haqa'iq, Beirut, 4th ed., 1985.
20. Place in Pre-Islamic Arabic Poetry, Haidar Lazim Mutlaq, MA thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1987.
21. The Theory of Place in the Philosophy of Ibn Sina, Hassan Majeed al-Ubaidi, reviewed and introduced by Dr. Abd al-Amir al-A'sam, Dar al-Shu'un al-'Amma, Baghdad, 1st ed., 1987.